

التطورات العمرانية والمعمارية في القرن التاسع عشر في ميناء سواكن العثماني

جامعة براندنبورج التقنية - ألمانيا

د. محمد الفاتح أحمد

المستخلص:

إن التخطيط الحضري لميناء سواكن العثماني هو تعبير خاص عن تقاليد البناء الإقليمية الراسخة في البحر الأحمر. دخول الأسلام الى المنطقة زاد بشكل كبير من الأهمية الحضرية لسواكن كنقطة دخول للحج الأفريقي إلى المدينتين المقدستين، مكة والمدينة عن طريق ميناء جدة في منطقة الحجاز. ما يعرف بالمملكة العربية السعودية حالياً. تأثر شكل مدينة الميناء بشكل رئيسي بين عامي 1865 و 1905 سواء كان ذلك في فترة سيطرة الإمبراطورية العثمانية، أو السيطرة المصرية و التأثيرات الدولية لاحقاً، حيث أمكن تسجيل العديد من الإضافات والتغييرات المعمارية بوضوح في المباني الجديدة التي أمتلكتها المجموعات السكنية الجديدة. يأخذ المقال في الاعتبار التطورات الحضرية والمعمارية للمدينة الساحلية مع وضع شوارعها الضيقة والمزدحمة بالتجمعات الحضرية، وتغير أسلوب وأمط العمارة وأهميتها في عملية التحول السياسي والاجتماعي. يمكن ملاحظة هذا التغيير الكبير جلياً في المباني الجديدة التي تتعلق بفترة "ما بعد العثمانية" بعد العام 1865 عندما كان ميناء سواكن تحت السيطرة العثمانية المصرية. النتيجة الحالية للدراسة هي تطوير التصنيف التاريخي للمباني التاريخية اعتماداً على التغييرات السياسية والاقتصادية في المنطقة. كما تدعم نتائج تقنية دراسة الأخشاب الأثرية و الكربون المشع في الأبحاث الجديدة لعلم الآثار في سواكن بالتعاون الفني مع المعهد الأثري الألماني (برلين) مصداقية كتالوج المباني الذي أُستحدث للمدينة من أجل فهم التغييرات تخطيط وعمارة

المدينة التي حدثت خلال الفترات العثمانية المختلفة. تظهر النتائج أيضاً ارتباط الهندسة المعمارية لمباني ما بعد العهد العثماني في سواكن على تأثيرات من ثقافة المباني الفردية لكل مجموعة من مجموعات ملاك المباني المقيمين في المدينة بعد العام وتشابهها لنمط العمارة في الحجاز و مدينة جدة خاصة، وتحفظ بشكل أساسي ببرنامج ذو طابع تخطيطي عثماني.

Abstract :

The urban structure of the Ottoman Port Suakin is a particular expression of a long established Red Sea regional building tradition. The coming of Islam greatly increased the urban importance of Suakin as the entry point for the African pilgrimage to the two holy cities, Mecca and Medina in Saudi Arabia. Be it the Ottoman imperial sphere, Egypt, or international influences. The shape of the Port city has been influenced mainly between 1865 and 1905, where many extensions and architectural changes can be clearly recorded in the new buildings owned by the new settlers. This why the article considers the urban and architectural developments of the Port city with its urban complex narrow, congested streets situation, the changing of style and typology in the architecture and its significance within a political and social transition process. This considerable change can be observed in the new buildings which relate to the "Post Ottoman" Period after 1865, when Suakin went under Ottoman-Egyptian control. The current result is a development of a historical typology for the historical buildings depending on political and economic changes. Also the new dendrochronology investigations in the Port city in technical cooperation with German Archaeological institute (Berlin) support the reliability of the established buildings catalogue for Port city in

order to understand the development changes in it during different colonial eras. The architecture of the Post-Ottoman houses in Port Suakin connects influences from the individual buildings culture of each of the householder's groups residing in the city after 1865, and it retains essentially an Ottoman spatial program

مقدمة:

تناقش المقالة العمارة العثمانية في منطقة البحر الأحمر بين القرن السادس عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي، مع التركيز بشكل رئيس على الأنواع والأنماط المعمارية معمرعاة العوامل الحضرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. تدراسة تصنيف الفترات المعمارية في جزيرة سواكن وجزئياً في منطقة جدة التاريخية بهد فتضمينها في سياق حضري واجتماعي تاريخي. تحقيقات الباحث الشخصية في مدن سواكن وجدة تمت بمشاركة شركاء تعاون اكاديمين مختلفين، مثل المعهد الأثري الألماني في برلين الارشيف العثماني في اسطنبول وارشيف السودان الخاص في جامعة درم في إنجلترا، بجانب مراكز بحوث اخرى في السودان، تركيا، إنجلترا، ألمانيا والمملكة العربية السعودية. سوف اتحدث في مقالي هذا عن الأجزاء التالية: في الجزء الاول سوف اعطي لمحة تاريخية الي وضع ميناء سواكن خلال الفترات العثمانية. في الجزء الثاني سوف أتحدث باسهاب عن شكلا العمارة والتخطيط الحضري داخل جزيرة سواكن مع التركيز على المباني التي ارتبط سكانها منالتجار الجداويين والحضارمة . في الجزء الثالث سوف أتحدث عن دور اصحاب المباني داخل الجزيرة - شبكة التجار حوالي عام ١٨٨٥ م. وسوف اختتم مقالتي باستنتاجات رئيسية إلى أوجه التشابه المختلفة في الهندسة المعمارية للمدينة الساحلية مقارنة مع مدينة جدة خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ميناء سواكن خلال العهد العثماني نظرة عامة:

كان ميناء سواكن تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية خلال الفترات (1555 - 1864م). وفق للأرشيف العثماني في اسطنبول، بعد سيطرة العثمانيين

عل سواكن وموانئ البحر الأحمر الأخرى أسس أوزمير باشا، الحاكم العثماني، لأول مرة في العام 1554 ميلادي ما يعرف سنجق عثماني. سنجق سواكن، الذي تألف من الجزء الشرقي من السودان الحديث (1) بعد فترة قصيرة قام السلطان العثماني في اسطنبول بتفريع هذا السنجق الى ما يعرف بالايالة وأطلق عليها ايالة الحبش والتي شملت موانئ سواكن ومصوع الواقعة على البحر الاحمر في. جاءت عين بيلبري في منصب حاكم إيالة مباشرة من اسطنبول، مركز الإمبراطورية العثمانية. و هذا يظهر أهمية الأيالة في العصور العثمانية المبكرة. توصف فترة التأسيس هذه بأنها فترة عثمانية تركية بحتة، وكانت سواكن قاعدة حدود عثمانية في فترات منفصلة من عام 1555 (2). تم نقل فترات عثمانية أخرى في سواكن وفقاً للسيطرة السياسية والاقتصادية للسلطات العثمانية. خلال الفترات -1865 1898 تأثر شكل المدينة العمراني بالعثمانيين المصريين وكذلك بالتجار من حضرموت وجدة. كانت هذه الفترة مهمة تم خلالها تسجيل تغييرات في شكل الوجه الحضري والمعماري للمدينة الساحلية.

العمارة في سواكن:

تكمن أهمية سواكن في العمارة الفخمة لمبانيها السكنية والذي يمكن ملاحظة تشابه ايضا في مدن ساحلية في مناطق البحر يمكن رؤية أهمية خاصة في البلدة القديمة في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية (شكل رقم 1). إن وضع سواكن في الوقت الحاضر هو تذكير صارخ بكيفية اختفاء هذا النوع من الهندسة المعمارية ببطء في جميع أنحاء المنطقة بسبب نقل ميناء المدينة إلى موقع بورتسودان الجديد في العام 1905. سقطت المدينة في الخراب والحياة هناك، على سبيل المثال أنشطة الشحن، توقفت تقريباً بعد عام 1930. ان وضع المدينة في الوقت الحاضر على وشك الإندثار (3). لأحد يعيش في الجزيرة اليوم باستثناء ثلاث عائلات فقط. تم تجاهل سواكن في الغالب في العديد من الدراسات التاريخية للعمارة عندما يتعلق الأمر بالمقارنات مع مدينة جدة خاصة ومناطق الحجاز عامة (شكل رقم 1).



رسم توضيحي 1

صورة تاريخية للمبني في جدة بالقرب من احد البوابات في بداية القرن العشرين

المصدر: Charles Winckelsen 1918.

لا شك أن التجارة وحركة الحجاج الافارقة والعرب والعلاقات الاجتماعية التاريخية بين المدينتين اثرتا أيضاً على شكل الحياة والتنمية الحضرية وكذلك الهندسة المعمارية خلال الحكم العثماني في منطقة البحر الأحمر الذي امتد لحوالي اربعة قرون من الزمان. نوقشت هذه الفترة في سواكن تحت سيطرة العثمانيين

في إلى حد محدود في دراسات النسيج التاريخي العمراني لمدينة البحر الأحمر. مرت اتصالات علاقات الاتصال خلال العصر العثماني بدءاً من منتصف القرن السادس عشر عبر عدة مراحل، خاصة تدفق التجارة والاتصالات بين طبقة التجار في مؤاني المنطقة. والسؤال المهم هو كيف كانت مساهمة هؤلاء التجار في التطورات الحضرية والمعمارية في المدينة الساحلية خلال الفترات العثمانية. استقرت بعض عائلات التجار خاصة من حضرموت وجدة خاصة في القرن التاسع عشر، بعد أن أصبح تتعمد على مينائي جدة و سواكن في شبكة أعمالها التجارية، بدأت عائلاتا لتجار في تملك العقارات ميناء سواكن. ولربما كانت هذه العائلات قد وجدت طريقها من الحجاز إلى سواكن خلال أواخر القرن التاسع عشر عندما لم يكن الوضع آمناً في جدة أو مدن الحجاز الأخرى مثل ميناء ينبع والوجهة على البحر الأحمر.

عمارة المباني التجارية للحضامة والجدائين:

بشكل عام تشترك الغرف في مباني جزيرة سواكن على خصائص معينة كالتالي: المجلس هو غرفة استقبال النساء والأسرة، وعادة ماتقع في الطابقين الأول والعلوي من المنزل. الدهليز هولوي المدخل الفرعي الذي يعمل كمنطقة توزيع للضيوف القادمين. غرف الخدمة وهي الحمام والمرحاض وغرفة المخزن. الروشان خشبي هي نافذة بارزة تطل على الشارع. مستوى الخارجة هو مستوى شرفة المنزل حيث يمكن للعائلة النوم والطهي (شكل رقم 2). التشابهات المعمارية في المساحات الداخلية والخارجية بين مباني سواكن وجدة التاريخية هي وجود الروشان في الواجهة الرئيسية للمبني، نظام الألواح الخشبية الانشائية داخل جدران البناء من أجل إضافة قوة للجدران، شكل اقوس صغيرة مدببة بنظام زخرفي مميز على أبواب المدخل، وجود نظام خزانة محفورة داخل جدران الغرف الداخلية، والأثاث البسيط، صهريج لتخزين المياه في بعض المنازل الكبيرة على مستوى الطابق الأرضي، دهليز يقود الى مكان المجلس و سطح المنزل ما يعرف بالخرجة التي تستخدم للنوم في فترات الصيف الحار.



رسم توضيحي 2

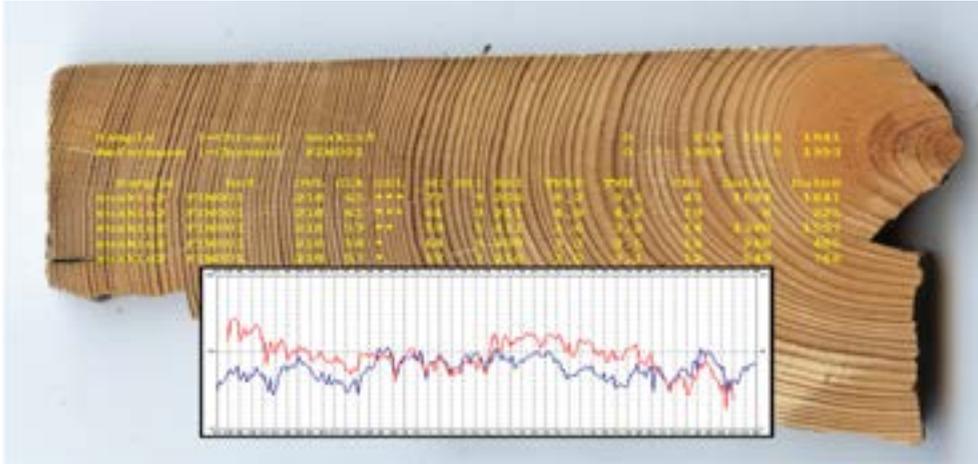
جزيرة سواكن، الطوابق الارضية والاول للغرف الرئيسية للمباني لرقم 227 و 22

المصدر: CAD drawings after Greenlaw 1976, pp. 40, 80

التخطيط الحضري في جزيرة سواكن:

جزيرة سواكن بيضاوية الشكل، قياس حوالي 400 متر من الشرق إلى الغرب و500 متر من الشمال إلى الجنوب. ترتبط الجزيرة بالبر الرئيسي من خلال جسر. يكشف التصميم الحضري للجزيرة عن مخطط شعاعي تتواجد فيه المتاجر والسوق مع وجود مساحة مفتوحة في المركز، إضافة إلى وجود ممرات غير منتظمة تؤدي إلى الشاطئ من جميع الجوانب. تم البحث في العديد من الرسوم التوضيحية، الصور التاريخية والخرائط الأرشيفية في خلال البحث تحديد مواقع المباني ربطها بالتطور الحضري للمدينة الساحلية بين القرن السادس عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي. في المجمل تم مسح هندسي معماري لمواقع 127 مبنمن اصل 270 قطعة أرض داخل الجزيرة بدعم من دراسات الاخشاب الاثريّة في العلوم الطبيعية التقنية لتحديد اعمار المباني و نوعية موادالبناء الخشبية بالأخص.

تدعم أيضا طرق تحديد اعمار العينات الاثرية بالكربون المشع 13 و 14 وعلم تحديد اعمار الاخشاب الاثرية بالاعتماد على التحقيقات الحضرية والمعمارية للباحث في سواكن وايضا في البلدة القديمة بجدة التاريخية (4). أخذت عينات الخشب المستخرجة من العديد من المباني المختارة في سواكن وبعض أمثلة على المباني في جدة القديمة مكنت من التحقق من أصل الخشب ونوعه، وكشفال اختلافات بين المدينتين (شكل رقم 3). من خلال المسح الهندسي، تمكنا من تحديد شارع السوق التاريخي للجزيرة بين أنقاض عدة مباني (5). وتمت مقارنة النتائج بالخرائط والصور التاريخية، بالإضافة الي تحديد اعمار بعض امثلة المباني المختارة تم بنجاح معرفة تأريخ حوالي 57 مبنى للتجار في جزيرة سواكن مع معلومات عن أصل مواد البناء الخشبية. أن أقدم معلومة لعمر مبني تم تحديدها كانت في المبنى رقم 196 (1519 ميلادي .د.) والذي يقع تقريبا في قلب الجزيرة في مايعرف بالسوق التجاري التاريخي. ايضا تم التعرف على بعض المباني القريبة للسوق يعود تاريخها الي تلك الحقبة الزمنية. توضح الخارطة موقع المباني التاريخية التي تم التحقيق فيها في سواكن. مايقرب من 80% من المباني تضررت في الوقت الحاضر في حالة تهدم كامل (شكل رقم 3). أول منطقة تم تحديدها هي شارع السوق الذي وُدي الى المركز التجاري لمدينة الجزيرة في القرن التاسع عشر. امكن تحديد مستوى الأرض فقط للمباني حيث يلاحظ تهدم باقي الطوابق العليا بالكامل. توجد بقايا أطلال المحلات التجارية والمباني بشكل أساسي في الطابق الأرضي كمتال مبني رقم 163 (شكل رقم 4).



رسم توضيحي ٣:

جزيرة سواكن، المسح الهندسي للمباني وعينات الاخشاب الاثرية بين الاعوام 2010 و 2013

المصدر: كارل اوفي هويسنر، محمد الفاتح احمد 2014

وفقاً الوثائق الأرشيف من مكتب السجلات الوطني السوداني وأرشيف المجموعة الخاصة بالسودان في مكتبة جامعة (دورهامف) بإنجلترا، كانت هذه المتاجر مملوكة للتجار عرب حضارم و آخرين ذوي خلفيا تجداوية مثل عائلة صيام التجارية وعائلة باجنيد، بازرعة وغيرها. كان هؤلاء التجار نشطين في شارع التسوق هذا في سواكن بعد منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل لقرن العشرين. تقع المحلات المدمرة في الطابق الأرضي من المباني السكنية التالية رقم 163 مبنى 274 مبنى 1/273، مبنى 1/273، ومبنى 243، (شكل رقم 4).

استنادا الي وثيقة ارشيفية تعود الى العام ١٩٣٣، تشير الى ان المبنى رقم 163 كان يمثل مجمعا كبيرا متعدد الاستخدامات يقع في قلب الجزيرة. امتلك هذا المبنى التاجر البارز محمد عبد الكريم الشناوي بيك في أواخر القرن التاسع عشر على الأرجح. كانت عائلته تمتلك حوالي ١٤ مبنى في سواكن، بالإضافة إلى مبنى الوكالة الكبير في منطقة القييف او مايعرف ببر سواكن(6). إمتلكت عائلة هذا التاجر معظم السفن المستخدمة في تجارة التصدير والاستيراد بين سواكن وجدة ومصوع، وكذلك مدن ساحلية أخرى. علي حسب الوثائق التاريخية يرجع ذلك في الغالب إلى كونه المقاول المفضل للحكومة على الأرجح بعد عام 1885 (7). هاجرت العائلة في الأصل كتجار من مصر ولديها اتصال مباشر مع جدة ومصوع واعتبرتا متعاونتين مع سلطات العثمانيين المصريين في منتصف القرن التاسع عشر وبعد ذلك مع حكومة الأنجليزية المصرية التي حكمت المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر(8). كانت الوظيفة الأصلية لمبنا الشناوي بيك المكون من ثلاثة طوابق تجارية وسكنية. كانت المتاجر تقع في الطابق الأرضي بينما كان الجزء السكني يحتل الطوابق العليا. مايمكن رؤيته اليوم هو بقايا الجدران في الطابق الأرضي للمجمع عند مدخل المحلات التجارية في الواجهة الجنوبية الشرقية. تم التعرف على مدخل باب ذو قوس يتيح الوصول إلى مخزن صغير لأحد المتاجر. وفقاً لمواقع غرف الطابق الأرضي وإتجاهها، امكن تحديدها كمساحات تجارية. تم تحديد مجموعة المتاجر في موقع المجمع السكني وامكن الوصول إليها من الشارع الرئيس يعبر مدخل صغير. تتكون المساحات التجارية من مجموعة من

سبعة متاجر تقع في الطابق الأرضي من هذا المبنى السكني. المحلات التجارية مختلفة في الحجمين -15 40 متر مربع. وفقَّ للصور التاريخية وخرائط المسح الهندسية، فإن هذا الموقع كان يمثل المركز التجاري لجزيرة سواكن حتى الحقبة ما قبل الاعوام 1930، هنا تم ممارسة الأنشطة التجارية بانماطها المختلفة التي شكلت النسيج المعماري لشوارع التسوق التاريخي في القرن التاسع عشر (شكل رقم 4). تظهر الصور التاريخية للجزيرة أن منطقة التجارة الثانية كانت تقع محاذة الى موقع المباني رقم 273، 274، 275 هذه المباني كانت جزء من المجمع التجاري الكبير المملوك للتاجر سيد سعيد صيام من جدة. كان سعيد صيام تاجرًا بارزًا في مينائي سواكن وجدة في نفس الفترة تقريبًا في منتصف القرن التاسع عشر. وفقًا لديفيد رودون في مقاله عن تراجع سواكن في القرن العشرين، المنشور عام 1970: "كانت أقرب علاقات صيام الخارجية مع شبه الجزيرة العربية وخاصة مع جدة حيث كان والده في العمل على ما يبدو. لكنه كان يتاجر ايضا مباشرة مع موانئ كالكوستا (الهند) والسويس ومصوع. يمتلك التاجر سعيد صيام خمسة مبانٍ بالأرقام 203، 273، 274، 275 في سواكن، وترك وثائق تجارية ومذكرات غطت فترة اعمالة التجارية في المدينة الساحلية وشبكة وكلائه. يقع مجمع مباني سعيد صيام في المنطقة الجنوبية من الجزيرة. في الوقت الحاضر وجدت الطوابق العليا في حالة تدهم شبة كلى، لكن بعض أجزاء المبنى في الطابق الأرضي لا تزال موجودة. في الواجهة الشمالية للمبنى رقم 274 تم تحديد اربعة غرف بمساحة حوالي 38 متر مربع، وهي منطقة خلفية متصلة يمكن الوصول إليها عن طريق قوس مفتوح مبني في الجدار الخلفي. تم تحديد بقية الغرف في الواجهة الشمالية الشرقية على أنها صف من المحلات التجارية تقع في الطابق الأرضي وتحتوي على مساحات خلفية للتخزين أو المكاتب، والتي يمكن الوصول إليها من خلال ممر ضيق في الطابق الأرضي (شكل رقم 4).

يظهر الشكل المنطقة الثالثة من منطقة التسوق التي امكن تحديدها على أنها تقع في الواجهة الجنوبية لمبنى رقم 243. تقع منطقة التسوق في المنطقة الجنوبية من الجزيرة وعلى الجانب الشمالي من بيت صيام ب. لمبنى رقم

274، 275. واليوم، لم يبق سوى مستوى الطابق الأرضي ويتكون من غرفتين داخليتين. لا تزال أجزاء من جدران الغرف الواقعة في الغرب والشمال موجودة، ومع ذلك، فإن هذه الغرف متطابقة وقد تم تحديد أن لديها غرفة خلفية مغلقة يمكن الوصول إليها من خلال قوس مفتوح في الجدار الخلفي. يمكن مقارنة مساحة الغرفة الخلفية وتصميمها الداخلي مع غرف الطابق الأرضي في بيت صيام رقم. 274، 275. داخل المساحة التجارية و تم التعرف علي رف على الجدار الخلفي لغرف المتجر. ما يمكن تحديده أيضاً هو باقي الغرفة المغلقة، الملحقة بالغرفة الخلفية. يمكن أن تكون هذه غرفة تخزين ملحقة بالغرفة الرئيسية.



رسم توضيحي 4

جزيرة سواكن، اشارة السوق التاريخي في القرن التاسع عشر الميلادي.

المصدر: محمد الفاتح أحمد 2014

يظهر الشكل المنطقة الثالثة من منطقة التسوق التي امكن تحديدها على أنها تقع في الواجهة الجنوبية لمبنى رقم 243. تقع منطقة التسوق في المنطقة الجنوبية من الجزيرة وعلى الجانب الشمالي من بيت صيام ب. لمبنى رقم 274، 275. واليوم، لم يبق سوى مستوى الطابق الأرضي ويتكون من غرفتين داخليتين. لا تزال أجزاء من جدران الغرف الواقعة في الغرب والشمال موجودة، ومع ذلك، فإن هذه الغرف متطابقة وقد تم تحديد أن لديها غرفة خلفية مغلقة يمكن الوصول إليها من خلال قوس مفتوح في الجدار الخلفي. امكن مقارنة مساحة الغرفة الخلفية وتصميمها الداخلي مع غرف الطابق الأرضي في بيت صيام رقم 274، 275. داخل المساحة التجارية و تم التعرف على رف خشبي على الجدار الخلفي لغرف المتجر. ما امكن تحديده أيضاً هو باقي الغرفة المغلقة، الملحقة بالغرفة الخلفية. يمكن أن تكون هذه غرفة تخزين ملحقة بالغرفة الرئيسية.

النوع الأول:

تم تحديد نوعين من المتاجر في جزيرة سواكن فيا لمبنى رقم 243 على مستوى الطابق الأرضي. امكن دخول الجزء التجاري من المبنى عن طريق بابين كلاهما مفتوح على شارع التسوق. المتجر الأولى تبلغ مساحته 44 متر مربع ولربما كانت هذه منطقة المعاملات التجارية والاتصال لمباشر مع العملاء. يحتوي المتجر الثاني على مساحة 22 متر مربع مع إمكانية الوصول المباشر إلى المساحة الرئيسية عبر باب صغير ذو فتحة مقوسة. هنا لربما كانت المساحة بمثابة متجر أو مجلس لاستخدام التجار، الذين ربما كانوا أصحاب المبنى. كان لهذا النوع من المساحات التجارية اتصال مباشر بالمساحات الداخلية للمبنى الذي عاش فيها لتاجر وعائلته.

النوع الثاني:

تم تحديد نوع آخر من المتاجر في الطابق الأرضي من المبنى رقم 243 الذي يحتل مساحة 42 متر مربع. في هذا المتجر يوجد مدخل رئيسي وحيد مباشرة إلى شارع السوق في الواجهة الرئيسية الجنوبية للمبنى. والفرق الوحيد هو أن النوع

الثاني من المتاجر له شخصية مستقلة وغير مرتبط بالجزء السكني أو أي جزء آخر. قد يكون من المربح أن يقوم مالك المنزل بتأجير مساحات الطابق الأرضي سواء على المدى القصير أو على المدى الطويل. من المهم ملاحظة أن المساحات التجارية التي تم تحديدها خلال المسح الميداني في سواكن لم تتغير خلال الفترات العثمانية الأولى والثانية والثالثة على عكس المساحات السكنية. يكشف التحقيق المعماري بدعم من نتائج أبحاث علم الأخشاب الأثرية عن ثلاث حقبة مختلفة في جزيرة سواكن. ويمك نتصنيفها على حسب التحولات السياسية والاقتصادية المختلفة في المدينة الساحلية على أنها فترة "العثمانية الأولى" (1519-1592) ، وفترة " العثمانية الثانية" (1723-1808) و "العثمانية الثالثة" الفترة (1836-1899). في الفترات الثانية العثمانية الأولى والثانية تأثرت جزيرة سواكن بشكل رئيسي من قبل التجار العرب من حضرموت وجدة. تظهر الأعمال الإنشائية الواسعة خلال هذه الفترة في جزيرة سواكن أن الميناء كان جذابًا للتجار العرب وأسرههم للاستقرار هناك. تظهر المباني في تلك الفترة بشكل رئيسي تأثيرات عربية من حضرموت وجدة أن العائلات كانت تعيش في نفس المبنى حيث كان المخزن يقع في الطابق الأرضي، بينما كانت الأجزاء المنزلية في الطابق العلوي كانت الإنشاءات الجديدة لهذه الفترة تمديدات رأسية بشكل أساسي من أجل تلبية احتياجات المجموعات العائلية الكبيرة. تعد واجهة روشان شاهدًا جيدًا على هذه المرحلة المحافظة التي جلبها أصحاب المنازل من شبه الجزيرة العربية التي شاهدها و علق عليها الرحالة السويسري لوييس بوركهاردت عندما زار سواكن متجهًا إلى جدة في بداية القرن التاسع عشر (9). لقد عززت الشبكة التجارية بين مدن البحر الأحمر القوة السياسية للعائلات التجارية، وقد وردت أسماء بعض هؤلاء التجار في وثائق الأرشيف العثماني في إسطنبول. كمثل تقرير من السلطان يفيد عن تشييد مباني في ميناء مصوع تابعة لتجار من حضرموت في العام ١٢٦٧/١٨٥١، مع إنشاءات مماثلة في ميناء سواكن خلال تلك الفترة (10). كان الخطاب الموجه من السلطان في إسطنبول إلى عصمت بك في مصوع وتجار حضرموت في الميناء. تثبت الوثيقة وجود هؤلاء التجار الذين أقاموا أيضًا في مينائي سواكن وجدة

في الفترة نفسها. يبدو أنهما كانت لهما أهمية خاصة لدي السلطات العثمانية في اسطنبول، حيث طُلب منهم تقديم أدلة ورايهم بشأن العريضة المقدمة من الأهالي في ميناء مصوع إلى السلطان العثماني ضد الحاكم العثماني محمد باشا. تجار حزموت. يظهر في رسالة الرد أسماء تجار من حزموت مقيمين في مصوع هم السيد باجنيد، سيد الصافي، سيد عمر بازعة وسيد احمد سالمين . يشير دفتر اصول إيرادات سواكن المعمور للعام ١٨٤٤ وهي وثيقة موجودة في الأرشيف العثماني تتعلق بالدخل الجمركي للميناء يرد فيها ذكر اسم السيد الصافي. تمت دراسة وثائق أخرى باختام وتوقيع اسماء تجار بارزين تعود إلى العام 1851 حول هذه القضية من قبل القادة البارزين للمدينة الساحلية الذين يطالبون بجداوي (شخص من جدة) في مصوع إلى السلطات العثمانية في اسطنبول وجدة. يظهر اسم المقاول الجداوي فيوثيقة الأرشيف كأحد المقاولين الرئيسيين المسؤولين عن العديد من الإنشاءات في المدينة الساحلية خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . نفوذ جدة (سياسياً و اقتصادياً) مما يؤدي إلى افتراض وجود كيان منظم لمقاولين للبناء في مينائي مصوع وسواكن خلال تلك الفترة التي تبدو مزدهرة لموانئ البحر الاحمر. كتب سالم عمر باجنيد، تاجر حزمي مقيم في القاهرة، رسالة إلى السلطات الانجليزية المصرية التي حكمت المنطقة انذاك بخصوص ممتلكات عائلته في سواكن. يكتب التاجر باجنيد: "لقد تلقيت بكل احترام رسالتكم المؤرخة في ٨ يناير ١٩٣٧ بشأن منزل عائلة التاجر باجنيد في سواكن. ورثة هذه العائلة موجودون في حزموت وبعضهم في جدة. ليس لدي وكالة (توكيل) منهم تمكيني من التصرف في ممتلكاتهم وخاصة من الورثة الشرعيين في هذا المنزل. اعرف ان الورثة فقراء جدا. لقد أرسلت هذا الإخطار لاعتزاري من هذا الموضوع. تحياتي واحترامي. التوقيع: سالم عمر باجنيد." (11) . كانت المجموعة الرئيسية الثانية من جدة والحضارمة والعرب الذين احتلوا في الغالب قلب الجزيرة بمحلاتهم ومبانيهم التجارية السكنية، على سبيل المثال بيت محمد عبدالكريم الكابلي (بدون رقم) ، بيت عثمان علي عبيد ١٩٦٤، ٣٧٩، ٦٤، بيت شايوش شمس ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، بيت عبدالرحمن يوسف الدروي ٢٥٧، بيت باجنيد ٣٨٨، ٣٨٩ وبيت باوارث (بدون رقم).

وجود عدد لا بأس به من ممتلكات معظم الأسر الحضرية والعربية في سواكن وجدة يؤكد على وجود شبكة تجارمغلقة في موانئ البحار الأحمر خلال القرن التاسع عشر. وفقاً للمسح المعماري والمعلومات الارشيفية التي تم جمعها عن العوائل التجارية من الأرشيف العثماني ومكتبة جامعة درم وأرشيف السودان في الخرطوم تمكنا من وضع تصور حول المجموعات العرقية المختلفة التي كانت موجودة في داخل جزيرة سواكن. توضح خارطة علي حسب النتائج العلمية للباحث في جزيرة سواكن على التوزيع السكاني حسب جنسيات التجار الاصلية في جزيرة سواكن خلال أواخرالقرن التاسع عشر الميلادي . تنقسم هذه المجموعات إلى خمس: الضباط العثمانيون المصريون والتجار. الجداويين (من جدة) وتجار الحضرميون. ايضاً مجموعة البانيان الذين كانوا من التجار الهنود في الأصل. التجار الأوروبيون وقليل من الأسر المحلية. معظم العمال السودانيين المحليين من قبائل البجا سكنت خارج الجزيرة في منطقة (القيف). يؤكد وجود مجتمع مصغر جامع للأجناس لأصحاب المباني في سواكن خلال منتصف القرن التاسع عشر أن معظمهم كانوا تجاراً في الأصل أو لديهم خلفية تجارية جزئية. وقد شكل هؤلاء التجار النخبة وعائلاتهم البنية الاجتماعية للمدينة الساحلية لفترة طويلة. كان سكان مينائي البحرالأحمر: سواكن وجدة وحتى مصوع عادة مايكونون على اتصال مع بعضهم البعض، مماسمح لعائلات النخبة المهاجرة بالعثور على مكان آمن في سواكن. هذا الأمر أدى الى وضع اقتصادي جذاب ومستقر للمدينة الساحلية الأمر الذي أدى إلى زيادة أنشطة البناء. تتألف المباني التاريخية في قلب الجزيرة من مجمعات في الغالب من ثلاثة إلى أربعة طوابق. كانت هذه المجمعات مسكونة من قبل عائلات التجار. تتكون المباني من منطقة سكنية وأخرى تجارية. يقع الجزء التجاري في الطابق الأرضي بين مايقع الجزء السكني في الطوابق العليا. كان هذا النوع من المباني متعددة الوظائف (سكنيا في الطوابق العليا وتجاريا في الطابق الأرضي) شائعاً في المدينة الساحلية ويمكن التعرف عليه في المباني الأخرى التي تم مسحها هندسياً. غطى هذا النوع من المنازل بالتأكيد حاجة التجار الذين استقروا في الميناء مع عائلاتهم، ويمكن وصفه بأنه مبنى من وحدة واحدة مع العديد من الوظائف.

خاتمة:

اجتذب الموقع القريب لميناء سواكن إلى جدة تجار من جدة لفتح مشاريع اقتصادية في الميناء على اقتصاد الميناء والمنطقة، وبالتالي أثر علي شكل المباني التي شيدت من قبلهم. لم تحتكر شبكة التجار على التجارة فحسب، بل أثرت على بنية المنازل، مثلاً استخدام المساحات على مستوى الأرض لأغراض تجارية، مما يدل على تأثير التاجر المباشر على المساحات الداخلية للمنازل، اكتسبت هوية بعض المباني بالجانب التجاري الخالص. وهذا نجدة علي المستوى الأرضي غالباً الذي احتوى على غرفة منفصلة تستخدم مكتباً لصاحب المنزل الذي كان غالباً تاجرًا، على سبيل المثال، مباني رقم ٢٧٣، ٢٤٣، ١/٢٤٣ و ٢٧٤ كما احتوى أيضاً على مخزن للبضائع. يمكنه استخدام التاجر بعض من هذه المساحات لمقابلة عملائه بشكل خاص وإجراء الأعمال التجارية دون انقطاع في أجزاء أخرى من المبني. لربما أدى الوضع السياسي في الجزيرة العربية خلال أواخر القرن الثامن عشر بسبب الحركات الوهابية بالأخص في منطقة الحجاز المتاخمة للبحر الأحمر إلى زيادة أعداد التجار المهاجرين من جدة للاستقرار في سواكن. وصل هؤلاء المهاجرون الي سواكن مع عائلاتهم، وبنوا بيوتًا تقليدية عاشوا وعملوا في نفس المبني. وقد أدى ذلك إلى أوجه التشابه المختلفة في الهندسة المعمارية للمدينة الساحلية مع مدينة جدة خلال منتصف القرن التاسع عشر، والتي أطلق عليها الفنان البريطاني التشكيلي (غرين لو) في أواخر السبعينيات "مستعمرة جدة المعمارية" في سواكن. يمكن رؤية هذه التشابهات بوضوح في الاستخدام الشائع للحجارة المرجانية والتقنيات الخاصة مع الألواح الخشبية في بناء الجدران. كما يمكن رؤية أوجه التشابه في تنظيم المساحة الداخلية، والفصل بين الجنسين في المساحات على مستوى الطابق، ووجود المجلس، والديوان والخرجة وكذلك في الروشان كميزة للواجهة. هذه العناصر والمساحات الداخلية هي أجزاء معمارية من "ثقافة التجار"، وهو مصطلح استخدمته الباحثة (نانسي أوم) في عام ٢٠٠٩ لميناء (المخا) في اليمن، والذي يمكن تطبيقه أيضاً على المجتمع الاجتماعي والاقتصادي للتجار في سواكن خلال الفترة العثمانية بدءاً من منتصف القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين.

لاشك أن مباني سواكن تعيش حالة تهدم وخراب كبير , بالرغم من ذلك فإن مبانيها التجارية السكنية لا تزال تخفي العديد من من مصادر المعلومات عن ثقافة تجار مهمة، والتي أعطت البحر الأحمر وموانئه مظهرًا ووضعاً استثنائي حقيقي وهوية مختلفة عن داخل مدن السودان الحالي. تظهر خصائص التجار العرب والحضرميون والجدايون في سواكن ثقافة التجارة العالمية في هذا الميناء والتي قد تكون أحد المصادر الرئيسية للثروة والسلام والعمران والعمارة المزدهرة. لا يزال الأرشيف العثماني في اسطنبول يخفي المزيد من المعلومات التاريخية حول حياة موانئ البحر الأحمر خلال العصر العثماني . الأمر الذي يحتاج إلى المزيد من الجهود من الباحثين في المستقبل لهذه المناطق.

المصادر والمراجع:

- (1) جداويين يعني به هنا المجموعات السكانية الآتية من جدة والحجاز في ذلك الوقت.
- (2) Başbakanlık Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı in İstanbul (BO), Ruus, nu. 213, sh. 212. In: Research Centre for Islamic History, Art and Culture – IRCICA 2007
- (3) قدمت جمهورية تركيا بإشراف وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) بالتعاون مع السلطات السودانية دعماً مالياً لتاهيل مباني الجامع الشافعي والحنفي والجمرك في جزيرة سواكن بين (2011-2013) كان الغرض من التعاون هو جعل المدينة أكثر جاذبية للسياحة المحلية والدولية.
- (4) M. Elfath Ahmed, Suakin (Sudan) and the Architecture of the Ottoman Empire in the Red Sea Region. Dissertation, Universitätsbibliothek, Brandenburgische Technische Universität Cottbus-Senftenberg (Cottbus 2016).
- (5) محمد الفاتح احمد 2016، الملاحق 1 و 3. بالتعاون مع د. كارل اوفي هويسنر، قسم العلوم الطبيعية في المعهد الأثري الألماني في برلين، العمل الميداني في سواكن وجدة البلد في العام ٢٠١٣.
- (6) CHBS, B. no. 159, 161, 163, 195, 196, 337, 380, 381, 419, 427-43. See also Derrar 1988, pp. 70-71.
- (7) Appendices 6.35.1 and 6.35.2: B. no. 163, Bayt M. A. K. Shinawi in Suakin, Mortgage Deed, in 10.2.1933.
- (8) Sartorius 1885, pp. 44-46. Derrar 1988, pp. 70-71
- (9) DUR, Suakin MSS Siam 56, 173, 434, 884, 84, 206, 360, 376, 444, 545, 837, 851, 923, 952. In: Roden 1970, p. 4.
- (10) Burckhardt, L 1819, p. 342.
- (11) BOA, I. DH. 00243_014790_001_002. Tarih 1268/1851.
- (12) NRO, Houses belong to the Heirs of Bagneid family in Suakin, in 14.01.1937 الوثائق السودانية، الخرطوم.

(13) Greenlaw, J.-P. (1976). The Coral Buildings of Suakin (1st Edition 1976, 2nd Edition 1995 ed.). London: Kegan Paul International, p.22

(14) جداولين يعني به هنا المجموعات السكانية الاتية من جدة والحجاز في ذلك الوقت.

(15) (2)Başbakanlık Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı in İstanbul (BO), Ruus, nu. 213, sh. 212. In: Research Centre for Islamic History, Art and Culture – IRCICA 2007

(16) (3) قدمت جمهورية تركيا بإشراف وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) بالتعاون مع السلطات السودانية دعماً مالياً لتأهيل مباني الجامع الشافعي والحنفي والجمرك في جزيرة سواكن بين (2011-2013) كان الغرض من التعاون هو جعل المدينة أكثر جاذبية للسياحة المحلية والدولية.

(17) M. Elfath Ahmed, Suakin (Sudan) and the Architecture of the Ottoman Empire in(4) the Red Sea Region. Dissertation, Universitätsbibliothek, Brandenburgische Technische Universität Cottbus-Senftenberg (Cottbus 2016).

(18) (5) حمد الفاتح احمد 2016, الملاحق 1 و3. بالتعاون مع د. كارل اوفي هويسنر, قسم العلوم الطبيعية في المعهد الأثري الألماني في برلين, العمل الميداني في سواكن وجدة البلد في العام 2013.

(19) (6) CHBS, B. no. 159, 161, 163, 195, 196, 337, 380, 381, 419, 427-43. See also Derrar 1988, pp. 70-71.

(20) (7) Appendices 6.35.1 and 6.35.2: B. no. 163, Bayt M. A. K. Shinawi in Suakin, Mortgage Deed, in 10.2.1933. كاتولج المباني التاريخية لسواكن.

(21) (8) Sartorius 1885, pp. 44-46. Derrar 1988, pp. 70-7

(22) DUR, Suakin MSS Siam 56, 173, 434, 884, 84, 206, 360, 376, 444, 545, 837, 851, 923, 952. In: Roden 1970, p. 4.

(23) . Burckhardt, L 1819, p. 342(9)

BOA, I. DH. 00243_014790_001_002. Tarih 1268/1851.(10)(24)

دارNRO, Houses belong to the Heirs of Bagneid family in Suakin, in 14.01.1937 (25)

الوثائق السودانية, الخرطوم (11).

)12(Greenlaw, J.-P. (1976). The Coral Buildings of Suakin (1st Edition 1976, 2nd(26)

Edition 1995 ed.). London: Kegan Paul International, p.22